GENÇ MÜTEFEKKİRLER DERGİSİ

JOURNAL OF YOUNG INTELLECTUALS

e-ISSN: 2718-000X

Yıl: 4, Cilt: 4, Sayı: 2

Eylül-2023

MAKALE BILGILERI

Dini Çoğulculuğa İslami Perspektif

An Islamic Perspective on Religious Pluralism

التعددية الدينية رؤية إسلامية

YAZAR

Mahmud NEFİSE

Gaziantep Üniversitesi İlahiyat FAkültesi

mahmudnefise@gantep.edu.tr

ORCİD: 0000-0002-4231-7394

Yayın Bilgisi

Yayın Türü: Araştırma Makalesi

Makale Geliş Tarihi: 28.08.2023

Makale Kabul Tarihi: 12.09.2023

Sayfa Aralığı: 567-597

ÖZET

Vatandaşlık, çağdaş toplumlarda insan haklarına saygı ve farklı biçimlerdeki çeşitlilik - dini, siyasi ve etnik - temelinde oluşur. Bu iki ilke, bir devletin vatandaşlık değerlerine ne kadar yakın veya uzak olduğunu belirlemede bir ölçüdür. Çalışmanın zorluğu, dini çeşitliliğin dinin kendisi bağlamında bir çözüm olarak incelenip incelenemeyeceği sorunudur. Bu, çözüm olarak kabul edilip sorun olarak değil, ancak bunun dinin özünü feda etmeksizin, ilahi değeri kaybetmeksizin, davet meselesini göz ardı etmeksizin veya ahiret meselesini sulandırmaksızın nasıl ele alınabileceği meselesini içermektedir. Aynı zamanda bu, vatandaşlık ve ortak yaşam prensipleriyle uyumlu bir şekilde, dini bir perspektifle dini çeşitliliğin ele alınması ve bu perspektifin Kuran'ın naslarına ve Peygamber Muhammed'in (SAV) uygulamalarına dayandırılması anlamına gelir. Bu, dinin kendisinden kaynaklanan dini çeşitliliğin temel önerilerini tartışmayı ve İslam'da uygulanan vatandaşlık prensibine bir bakışı içerir.

Bu konu aşağıdaki başlıklar altında ele alınmıştır:

- Giriş, araştırmanın sorununu ve sorularını ele alınmakta, amacını ve izlediği yöntemi açıklamaktadır...
- Dini çeşitlilik: Görünüm ve tezahürler
- Kurtuluş ve kurtuluş tekeli arasındaki dini çoğulculuk
- İslamı rehber edinmeden kurtuluş
- İslam'a ihtiyaç duymadan kurtuluş
- Davranışsal çeşitlilik ve vatandaşlık kavramının oluşturulması
- Sonuç ve en önemli bulguları içermektedir.

Anahtar kelimeler: Din felsefesi, çeşitlilik, kurtuluş, davranışsal çeşitlilik, Birlikte yaşamak.

ABSTRACT

Citizenship in contemporary cultures is built on respect for human rights and diversity in all of its manifestations - religious, political, and ethnic. These two principles indicate how near a state is to its citizens' values. The study's challenge is to see if religious variety may be investigated as a solution in the context of religion itself. This includes accepting it as a solution rather than a problem, and asking how it may be handled without abandoning the substance of religion, losing its divine value, disregarding the topic of dawah, or weakening the issue of the hereafter. At the same time, this entails approaching religious diversity from a religious standpoint, in accordance with the ideals of citizenship and common life, and basing this standpoint on the Qur'anic scriptures and the actions of the Prophet Muhammad (PBUH). This includes discussing the main propositions of religious diversity stemming from religion itself and a look at the principle of citizenship applied in Islam.

The following axes were used to approach this problem:

• An introduction that addressed the research's problem, its questions, its goal, and the methods that were utilized there

• Religious diversity: Appearances and manifestations

• Religious pluralism between liberation and liberation monopoly • Salvation without taking Islam as a guide
• Salvation without the need for Islam • Establishing the concept of behavioural diversity and citizenship • The conclusion and the most important findings.

Keywords: Religion philosophy, diversity, liberation, behavioural diversity, and coexistence

ملخص:

تقوم المواطنة في المجتمعات المعاصرة على احترام حقوق الإنسان، والتعددية بصورها المختلفة؛ الدينية والسياسية والعرقية، ويشكل هذان المبدآن معياراً لتحديد درجة قرب دولة ما عن تحقيق قيم المواطنة أو بعدها عن ذلك. وتتمثل إشكالية الدراسة في مدى إمكانية دراسة التعددية الدينية من منطلق الدين ذاته بوصفه حلاً وليس مشكلة، دون أن يؤدي ذلك إلى التضحية بالدين ذاته وإهدار قيمة الوحي، أو تنحية قضية الدعوة، أو تمييع قضية النجاة في الآخرة، ودون أن يُخلّ ذلك بمبدأ المواطنة والعيش المشترك معالجة تعتمد على نصوص القرآن الكريم وتطبيقات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. من خلال مناقشة أهم أطروحات التعددية الدينية المنطلقة من الدين ذاته مناقشة نقدية، والنظر في مبدأ المواطنة المطبق في الإسلام بهدف الوصول لرؤية أكثر تكاملاً ودقة.

وقد تم تناول هذه القضية من خلال المحاور التالية:

- مقدمة تناولت إشكالية البحث وتساؤلاته، وهدفه والمنهج المتبع فيه...
- التعددية الدينية، الظهور والتجليات
- التعددية الدينية بين النجاة واحتكار الخلاص
- النجاة بعارض عدم الاهتداء للإسلام
- النجاة دون الحاجة للاهتداء للإسلام
- التعددية السلوكية وتأسيس مفهوم المواطنة
- الخاتمة وتتضمن أهم النتائج

1- المقدمة:

التعددية الدينية من القضـايا التي دار حولها نقاش طويل في دوائر الفكر الإسـلامي والغربي على حد سـواء، تم تناولها في الفكر الغربي بوصفها طوق النجاة للخروج من دائرة الصراع الديني والمذهبي والعنف الذي يجتاح العالم بصور شـتى، ومما يؤكد الحاجة إلى البحث عن فهم أعمق لهذه القضـية وإيجاد منهج للتعامل معها وفق رؤية إسـلامية، ظروف أوروبا إثر وفود الكثير من اللاجئين إليها من أتباع ديانات مختلفة ويشـكل المسـلمون منهم النسـبة الكبرى، بالإضـافة إلى حاجة مجتمعاتنا ذات التركيبة الإثنية إلى توضـيح العلاقة مع الآخر المختلف دينياً وثقافياً في إطار المجتمع الواحد في ظل شـيوع بعض الأفكار التي تتخذ شـكلا دينياً كمبدأ الولاء والبراء، فلابد من البحث عن صـيغة تجمع الأطياف المختلفة مع المحافظة على ما للدين من حرمة وقداسة.

هذا وإن المتتبع للدراسـات المقدمة حول التعددية يقف أمام معالجات مختلفة، فالبعض ينظر إلى الأديان كأمر واقع بغضّ النظر عن صـدقها في حقيقة الأمر، ويرى أنه من الواجب البحث عن حلول عملية تلطّف العلاقة بين أتباع تلك الأديان، وتكون سبباً فعالاً في معالجة الاحتقانات الموجودة فيما بينهم، وفي هذا الصدد يمكن لباحث ملحد أن يقدم تصوراً عن التعددية الدينية دون أن يرى أي قداسة لأي نص ديني، وبهذا الشكل يتم التعامل مع الأديان بوصفها مشكلة وليسـت حلّا. وهناك من ينطلق من رؤية فلسـفية فيرى أن الأديان كلها تُعبّر عن حقيقة واحدة وإنما تختلف في أسـاليب التعبير عن هذه الحقيقة؛ أو أن كل دين يُعبر عن جانب من الحقيقة وليس هناك دين يُعبّر عن الحقيقة بتمامها.

وهناك من ينطلق من تقرير التباين كأمر واقع من أجل إيجاد سـبل للتعايش ويصـل لنتائج إيجابية في الموقف من الآخر كتعميق المشـترك بين الأديان وطرح التعايش بديلاً عن الصـراع، ولكنها تُغفل ما يتعلق بإمكانية النجاة في الآخرة أو تسـتبطن عدم نجاته، مما يؤدي إلى بعض الصـور السـلبية في إطار العيش المشـترك. وهناك من يرفض التعدديّة رفضـاً قاطعاً بدعوى أنها تمثل قضاءً على الدين، ويرى في الدعوة للتعايش استراتيجية مؤقتة لإدارة أزمة راهنة يفرضها الواقع، لكنه في حقيقة الأمر عليه أن يتحصن بمبدأ البراء التام ويتنزه حتى عن المحبة القلبية أو التعاطف، وإلا لأخلَّ ذلك بأصل إيمانه. ونحن بدورنا نشـكك في قيمة هذه الدراسـات ونرى أننا من الممكن لدراسـة منطلقة من الدين أن تقدم إضـافة في هذه القضية.

1-1 إشكالية الدراسة وتساؤلاتها: تقوم المواطنة في المجتمعات المعاصرة على احترام حقوق الإنسان، والتعددية بصـورها المختلفة؛ الدينية والسـياسـية والعرقية، ويشـكل هذان المبدآن معياراً لتحديد درجة قرب دولة ما عن تحقيق قيم المواطنة أو بعدها عن ذلك. وتتمثل إشـكالية الدراسـة في مدى إمكانية دراسـة التعددية الدينية من منطلق الدين ذاته بوصـفه حلاً وليس مشـكلة، دون أن يؤدي ذلك إلى التضـحية بالدين ذاته وإهدار قيمة الوحي، أو تنحية قضـية الدعوة، أو تمييع قضية النجاة في الآخرة، ودون أن يُخلّ ذلك بمبدأ المواطنة والعيش المشترك.

وانطلاقاً من إيماننا بصدق الشريعة الإسلامية وأحقيتها وسلامة نصوصها من التحريف والتبديل، نؤكد أننا لسنا بحاجة لقراءة مُفتعلة لمعالجة الآثار السـلبية والأزمات المتصـلة بقضـية التعايش مع الآخر في ظل الإسـلام، كما إننا لسـنا بحاجة لقراءة تلفيقية نروّج من خلالها للتعددية لكسـب تعاطف عالمي مع المشـروع الإسـلامي، إننا أحوج ما نكون لقراءة موضـوعية نتناول من خلالها هذه القضـية ونقف على الجانب النظري والعملي المتصـل بالنصـوص والممارسـات والتطبيقات اللاحقة لها، والتأمل فيما يمكن أن تثيره من تساؤلات وتتضمنه من حلول وإجابات.

2-1 هدف الدراســة: معالجة قضــية التعددية من منطلق ديني معتمد على نصــوص القرآن الكريم وتطبيقات الرسـول محمد صـلى الله عليه وسـلم ومناقشـة أهم أطروحات التعددية الدينية المنطلقة من الدين ذاته، بالإضـافة إلى النظر في مبدأ المواطنة المطبق في الإسلام والملاحظات التي يمكن أن تُوجه له.

3-1 منهج الدراسـة: اعتمدت في هذه الدراسـة على المنهج التحليلي النقدي، من خلال النظر في سـؤال التعددية، وما يمكن أن يثار حوله من أســئلة وما قيمة الإجابات المقدمة لها، والانتقادات التي يمكن أن تقدم ضــدها مع اقتراح البديل.

4-1 **خطة البحث:**

1- المقدمة: تتضمن إشكالية الدراسة وتساؤلاتها، وهدفها والمنهج المتبع فيها وخطة البحث.
2- التعددية الدينية، الظهور والتجليات:
3- التعددية الدينية بين النجاة واحتكار الخلاص:
4- النجاة بعارض عدم الاهتداء للإسلام:
   4-1 الإعراض عن الدعوة الإسلامية ابتداء دون نظر سبب للخلود في النار:
   2-4 عدم الإيمان بعارض الشبهة أو عدم بلوغ الدعوة من أسباب النجاة:
   3-4: القصور والتقليد قد يكون سبباً للنجاة:
5- النجاة دون الحاجة للاهتداء للإسلام:
   5-1 مدرسة المنار وإرهاصات الفكرة:
   2-5 الأدلة الفلسفية على النجاة دون الحاجة للاهتداء للإسلام:
   3-5 الأدلة القرآنية على النجاة دون الحاجة للاهتداء للإسلام:
6- التعددية الدينية السلوكية وتأسيس مفهوم المواطنة:
   6- 1 ولادة مفهوم المواطنة في العهد النبوي:
   2-6 قصور الممارسات العملية لمفهوم المواطنة بعد العهد النبوي:
7- الخاتمة:

2- التعددية الدينية، الظهوروالتجليات:

تشير التعددية الدينية إلى علاقة الأديان المختلفة ببعضها مع تعارض المعتقدات، والحلول المقترحة لتسويغ التفاعل الإيجابي بين أتباع هذه الأديان. وقد مرت العلاقة مع الآخر في اللاهوت المسيحي بمنعطفات متباينة، من رؤية أُحادية حصرية حادّة تحتكر الحق في المسيحية، وترى بأن الخلاص لا يتحقق إلّا من خلال المسيح وأنَّ البذور الروحية الكامنة في كل إنسان تنتظر الإيمان بالمسيح لتعطي ثمارها[1]، إلى تعددية مطلقة. وفي القرن التاسع عشر كان المجتمع الأوروبي قد أعياه الصراع الديني والمذهبي والعرقي، فظهرت التعددية الدينية في عصر الإصلاح الديني كمحاولة لوضع أساس نظري للتسامح تجاه الأديان غير المسيحية، ومثلت عنصراً من عناصر حركة التجديد الديني التي حدثت في البروتستانتية [2].

وتغير الموقف من أتباع الديانات الأخرى بشكل واضح بعد المَجمَع الفاتيكاني الثاني المنعقد ما بين (1962 – 1965)، حيث أقرت وثائق المجمع عقيدة خلاص غير المؤمنين، واعتبر المجمع المذكور أن غير المؤمنين بالمسيحية يدخلون في تعداد شعب الله سواء اليهود أو المسلمين أو الوثنيين، وأن الخلاص في متناول الجميع ، وقد كان من أهداف المجمع الرئيسية جعل الكنيسة أكثر انفتاحاً على العالم، والاعتراف بأن آلام المسيح قد افتدت العالم فأصبح مكاناً فيه من الخير ما يتخطى آثار الخطيئة الأصلية، وأن الموت الكفّاري للمسيح شمل البشرية كلها، من آمن به ومن لم يؤمن؛ لأن المسيح اتحد مع كل إنسان بشكل من الأشكال. علاوة على أن ديانات غير المؤمنين بالمسيحية لا تخلو من فكر وسلوك قويم، وبأنهم لن يُدانوا في الآخرة.

ومما يوضح ذلك، ما ورد في هذا الخصوص عن المجمع الفاتيكاني الثاني: "إن الخلاص هو في متناول جميع من هم من ذوي الإرادة الحسنة ..إن الأخوة المنفصلين عن الشركة التامة مع كرسي روما، وأولئك الذين ينتمون إلى الديانات غير المسيحية، هم أيضًا يملكون حقائق وعندهم كنوز ... وهناك أناس يتجهون صوب الله من نواحي شتى من بينهم ذلك الشعب اليهودي الذي قبِل المواعيد وأُعطى العهود والذي ظهر المسيح منه بحسب الجسد، وأيضًا أولئك المسلمون الذين يعترفون بالخالق ويؤمنون إيمان إبراهيم، ويعبدون الإله الواحد الذي سيدين البشر في اليوم الأخير، وأخيرًا يقول المجمع إن الكنيسة ليست بعيدة عن أولئك الوثنيين الذين يفتشون عن الله من وراء الصور والظلال ويجهلون بدون قصد إنجيل المسيح وكنيسته. فهؤلاء ليس الخلاص ببعيد عنهم، وهم يحاولون أن يتمموا مشيئة الله التي وضعها في ضمائرهم"[3].

بدأت بذور هذه النظرة التسامحية التي تتجاوز الحصرية تبرز في فترة ما بعد الحداثة، أما السمة العامة لعصر الحداثة فقد كانت غَلَبَةُ النظرة المادية وسيطرة التفسير الميكانيكي للطبيعة على المفاهيم الأخرى وهذا يتناسب مع صرامة النظرة وأحادية الفكر، فلقد أحدث كوبرنيكوس (1543) ثورته المشهورة باعتباره الأرض كوكباً من كواكب المجموعة الشمسية وليست مركز الكون، وبرهن جاليلو (1642) على حركة الأرض بأدلة علمية، واهتدى كيبلر (1630) إلى قوانين حركة الكواكب ومهد لنظرية الجذب العام. وأدرك الباحثون ما للملاحظة والتجربة من أثر في استنباط الحقائق العلمية، وفاضلوا بين البرهنة القياسية والاستقراء ملاحظين أن الاستقراء هو السبيل الأمثل للوصول إلى المعرفة مشيرين إلى المنهج

---

(1) انظر: دبليو ترول، كريستان Prof. Dr. Christian W. Troll، « التعددية الدينية وحرية الدين » على الرابط الآتي:

http://www.asilatulmuslimin.com/vielzahl-der-religionen.html

(2) انظر: طه، أنيس مالك. اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها، باكستان: الجامعة الإسلامية العالمية، 1421هـ ، ص: 9 – 10.

(3) وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني -دستور عقائدي 310 (2)، 311

http://coptcatholic.net

التجريبي الذي تبلور على يد فرنسيس بيكون (1626).[4] واعتبرت قوانين الطبيعة في غاية الصرامة، وحاول ديكارت (1650) أن يبني فلسفة صارمة على غرار الرياضيات تبدأ بمجموعة من الحقائق الواضحة بذاتها ليصل منها إلى مجموعة من النتائج التي لا تقبل المراجعة.

وعلى ذات الدرب سار الأمر مع الكثير من فلاسفة ذلك العصر كاسبينوزا (1677) وغيره ، إلى أن بدأت مرحلة جديدة من التشكيك بهذه الحتمية، فكانت فلسفة جورج براكلي (1753) احتجاجاً لصالح النظرة الدينية. أما ديفيد هيوم (1776) فقد أكد أن السببية ليست مبدأ عقلياً وأنه يستحيل على العقل أن يجد المعلول في العلة، وأن أقصى ما يمكن أن تدلنا عليه الملاحظة هو توقع تكرار وقوع الحادثة الثانية عقب الأولى إذا تكرر ارتباطهما معاً وجوداً وعدماً ليس إلّا[5].ومن الجدير بالذكر أن نظرية هيوم في السببية أدت إلى ظهور النظرية الوصفية في العلم، فالعلم لا يفعل شيئاً سوى وصف ما يحدث، هكذا دون تقديم أية مبررات لجعل هذه الحوادث تجري على نحو معين دون غيره، ولا يمكن لهيوم أن يقدم أي تبرير لذلك، لأنه لا يوجد مثل هذه المبررات في رأيه[6].

ومع تقدم علم الطبيعة في القرن العشرين تسلل شيء من الارتياب إلى الفيزياء الكلاسيكية إذ استطاع هايزنبرغ (1976) أن يقدم صياغة لما يسمى بعلاقات عدم اليقين (الارتياب)، كما اكتشف العديد من العلماء علاقات تتحدى الاستقرارية طُبقت على العديد من المجالات الطبيعية والإنسانية، وهكذا تسللت مقولات جديدة للعلوم الطبيعية كالصدفة والاحتمال والشواش والفوضى... [7]، وفي مقابل المنطق الأرسطي الذي يرى رسوخ الحقيقة وثبوتها وأنه لا احتمال آخر بعد الوصول إليها، جاء نوع آخر من التفكير ليوسع من دائرة اليقينيات، وهذه المساحة مع الأيام أدت إلى انفتاح ما يمكن أن نسميه التعددية في الفكر وكسر لمقولة نفي احتمال صحة الآخر، وشكل أساساً بعيداً للتعددية بكافة معانيها[8].

وهكذا فعلى صعيد المعرفة الدينية كانت الحتمية الطبيعية تتوافق مع الأحادية أو الحصرية الدينية، والارتياب واللاحتمية يتوافقان مع التعددية وبرزت بعض النظريات التي تسعى لإيجاد صيغ فعّالة لإدارة الخلاف بين الأديان، والاعتراف بالآخر المختلف في المعتقد وفتح طريق النجاة أمامه، دون أن يُسهم ذلك في بطلان الأديان الأخرى على أساس أن الأديان كلها تفضي إلى حقيقة واحدة. وبالفعل فقد برزت قضية التعددية الدينية، التي تقتضي نفي الواقع الموضوعي للتعليمات الدينية[9].

ولقد عدّت بعض المدارس الغربية الأنسانَ أساس المعرفة ومصدرها، ورأت أنه لا يستمدها من مصدر خارج عنه، معتمدة في ذلك على مفهوم التجربة الإنسانية لتحديد ملامح الأديان، ومن شأن هذه النظرة أن تلغي الوحي كمصدر

---

(4) مدكور، إبراهيم & كرم، يوسف. دروس في الفلسفة، بيروت لبنان: دار علم الأدب، الطبعة الأولى، 2016، ص: 261

(5) انظر: كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة الحديثة، مصر: دار المعارف، الطبعة الخامسة، دون تاريخ، ص:175.

(6) انظر: ستيس، ولتر. الدين والعقل الحديث، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مصر: مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1998م، ص: 192.

(7) انظر: الجابري، محمد عابد. مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة 1998م، ص: 381، 401 – 403. وانظر: كميليف، يوري أناتوليفتش. فلسفة الدين الغربية المعاصرة ، ترجمة: هيثم صعب، سورية، الهيئة العامة السورية للكتاب. سلسلة الكتاب الالكتروني للنشر http://www.syrbook ، ص: 202.

(8) حب الله، حيدر. التعددية الدّينية نظرة في المذهب البلورالي، بيروت لبنان: الغدير للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2001 ص: 77- 78.

(9)انظر: العاصفي، محمد مهدي. التعددية الدينية. على الرابط الآتي

http://azarshab.com/Default.asp?Page=ViewData&Dir=Thaqafatona04&File=20 س

خارجي مؤسس للدين، لأن ذلك يؤدي – بحسب ظنها – إلى المركزية التي تنتهي إلى التصادم والتكفير؛ وإذا كانت القراءة التقليدية للنصوص تقوم على محورية صاحب النص ويسعى المفسر إلى الاقتراب من مُراد صاحب النص قدر الإمكان، فإن التوجه الجديد في الهرمونوطيقا الجديدة يفترض أن المحور هو المُفسر والنص لا صاحب النص، وهي بذلك تحرر الإنسان، لكنها تستعبد الدين فينقلب الأمر رأساً على عقب[10].

كما أن مصطلح "رمزية اللغة الدينية" يشير إلى عدِّ الرموز الدينية معبرة عن حقيقة غير مذكورة بتمامها في النصوص الدينية، ويغدو الرمز ذاته بما يختزله من دلالات عميقة محوراً أساسياً في فهم المرموز إليه ويؤدي إلى نفي الحقيقة عن النص الديني المؤسس بالكلية. ويتبنى أركون هذا الاتجاه إذ يقول: " إن الوحي يعني حدوث معنى جديد في الفضاء الداخلي للإنسان... وهذا المعنى يفتح إمكانيات لا نهائية أو متواترة من المعاني بالنسبة للوجود البشري"[11]. فالوحي ذو لغة مجازية رمزية منفتحة على جميع الاحتمالات.. وهذا ما يجعل التعددية الدينية ممكنة لدى البعض. وبالفعل ظهرت العديد من المقاربات لإفساح مجال للأديان غير المسيحية، ليس على سبيل أحقية الوجود كأمر واقع؛ بل على أساس أنها تتمتع بالصواب أيضاً.

ويرى "شلاير ماخر" (1834م) أن جوهر الأديان واحد ويتمثل في الانسلاخ عن الذات والعروج إلى الله، أما ما تختلف به الأديان عن بعضها من تعليمات وأحكام وطقوس فهي قشور ووظيفة القشور المحافظةُ على اللّب لكنها ليست غاية بحد ذاتها، وبالتالي فإنه يتوجب علينا ألا نأخذ بها بصورة حرفيّة[12]. فجوهر الدين هو التجربة الدينية الناتجة من وجود الإنسان أمام مركز الألوهية[13]، وهكذا ففي كل دين من الأديان يجد الإنسان طريقاً إلى الله، وقد تختلف هذه الطرق عن بعضها ولكنها تلتقي في النهاية عند الله. ولكن تكون الاعتقادات المتباينة من قبيل إنكار وجود الله وعبادته، أو التوحيد والثنوية أو التثليث ، والجبر والاختيار، والعقلانية والنصية، والتنزيه والتشبيه ومئات القضايا الأخرى...، وكيف تقود جميع الطرق المتناقضة في الاتجاه إلى مدينة واحدة؟[14].

ويميّز "كارل بارث" (1968) بين الإيمان والدين، فيرى أن الإيمان سعي الإنسان بالفطرة نحو الله. والدين التعبير الجماعي الإيمان، وهو يُترجم إلى طقوس وشعائر وممارسات وهو بالتالي منتج بشري ومن الخطأ إعطاؤه الأولوية على الإيمان، واعتباره وحياً إلهياً [15].

10- للاطلاع على نظريات الهرمنيوطيقا في تفسير النصوص الأدبية، انظر: أبو زيد ، نصر حامد ، إشكالية القراءة وآليات التأويل، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2014م، ص: 47-49. مصطفى، عادل. فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطقيا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، مصر، القاهرة: دار رؤية، الطبعة الأولى، 2007م.

(11) أركون، محمد. الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (د – ت)، ص: 79.

(12) انظر: الأسدي، جهاد. مقال إلكتروني " قراءة في مسألة التعددية الدينية"، على الرابط الآتي:

http://www.beirutme.com/?p=1727

(13) انظر: جعفري، محمد . العقل والدين في تصورات المستنيرين الدينيين المعاصرين، ترجمة حيدر نجف، بيروت لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، 2015م، ص: 69

(14) انظر: رشاد، علي أكبر ، البلورالية الدينية وتحدي المعيار، حوار مع البروفيسور جون هيك، ضمن كتاب فلسفة الدين، تعريب موسى ظاهر، لبنان، بيروت: مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2011، ص: 186. وأيضا: علي، غيضان السيد. فلسفة الدين المصطلح من الإرهاصات إلى التكوين العلمي الراهن، بيروت لبنان: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، 2019، ص: 155.

(15) انظر: مقال كريستان ترول Prof. Dr. Christian W. Troll، « التعددية الدينية وحرية الدين »

وكذلك يتجاوز "**جون هيك**" (2012) البحث في إمكانية التعايش مع الآخر المغاير لنا كأمر واقع لتحقيق الأمن والاستقرار، إلى البحث في إمكانية تعدد الحقيقة وتنوع مشاربها، وفق مبدأ وفرة القداسة وامتداد آفاقها وانتفاء مبدأ احتكار الحقيقة، وتفكيك مركزية الالتجاء إلى الله، فالآخر يمتلك حظاً وافراً يتساوى فيه معي في الاتجاه نحو الحقيقة. فالأديان جميعها تتفق حول حقيقة واحدة هي "الحق" المتواري عن أن تدركه الأبصار، ولكل من الأديان استجابته التاريخية الخاصة ، وإرثه الديني المميز الذي يعبر من خلاله عن تكهنه بهذه الحقيقة، حسب التجربة البشرية، فالناس على اختلاف نحلهم يعبدون معبوداً واحداً، رغم اختلاف إشاراتهم وتنوعها؛ فهم كلهم يتفقون حول "**الحق في ذاته** ." المتعالي عن كل وصف[16]. ويرى "جون هيك" أن حصر الخلاص على مكان أو زمان وأناس بعينهم، يتنافى مع كون الله محباً للإنسانية جمعاء، لذلك لا يمكننا اعتبار المخالف لنا في حالة ضلال وبهتان وزيغ؛ لكنه يعبر عن شكل مختلف في استجابته للحقيقة الإلهية الواحدة[17].

وهكذا تم تفكك الخطاب المسيحي الأصولي وفق رؤية فلسفية تبرز التعددية مشفوعة بأدلة فلسفية ومنطقية والدينية العديدة ورأى بعض الباحثين أنه ينبغي على المؤسسات الدينية الإسلامية الرسمية، المطالَبة اليوم بالتأسيس لثورة داخلية في هذا المجال تُخرج المسلمين من الانغلاق الديني، وتتقدم بهم نحو قيم الحداثة والإجابة عن تحديات العصر والعالم؛ كما حدث مع «الأصولية الكاثوليكية» التي فككها كبار الفلاسفة الأوربيين واللاهوتيين المجددين؛ من أجل الابتعاد التدريجي من «الإسلام الأصولي»، و«إسلام السلف»، و«إسلام الفقهاء»، والعودة إلى الجذور الحقيقية في المسائل الدينية الرئيسة ومن ضمنها الرؤية القرآنية تجاه «أهل الكتاب» شركاء المسلمين في التوحيد[18].

وفي الحقيقة لم يكن الأكاديميون العرب بحاجة لهذه الدعوة، فقد بدأت قبل عقود أطروحات مشابهة لما سبق ذكره ، فبرزت إشكالية اللغة والتأويل والنظريات التفكيكية لدى "محمد أركون" و"نصر حامد أبو زيد". وغدت الحقيقة الدينية لدى "عبد الكريم شروس" أمراً نسبيّا لخضوعها للقيود الإنسانية المشكلة للثقافة البشرية، بعد اعتبار الظاهرة الدينية منتجاً بشرياً إنسانياً، بالإضافة لكونها تجربة شخصانية نظراً لارتباطها بحدود الإدراك البشري بالإضافة لطبيعة المتدين وأحواله وتبصره بخصائص اللغة وأدوارها، علاوة على أن الحقيقة الدينية يكتنفها الغموض فهي غائرة في الزمن تتجلى للإنسان بقدر اجتهاده وأدواته، كما أن الحقيقة الدينية ليست هي الغاية في ذاتها بل التجربة الدينية التي تقود الإنسان إلى البحث والتنقيب لا الحقيقة الدينية في ذاتها[19].

---

http://www.asilatulmuslimin.com/vielzahl-der-religionen.html

(16) قانصوه، وجيه، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك (المرتكزات المعرفية واللاهوتية)، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، 2007، ص 11، ص: 76 – 77.

(17) طيرشي، كمال ، قراءة في كتاب: "التعددية الدينية في فلسفة جون هيك" لوجيه قانصوه، مؤمنون بلا حدود، على الرابط الآتي :

https://www.mominoun.com/articles.

(18) فرج، ريتا. وثيقة الأخوة الإنسانية السلام بين الديانات في عالم مضطرب، مجلة الفيصل، العددان (517) و(518)، السعودية: دار الفيصل الثقافية، نوفمبر 1, 2019.

(19) انظر: شروس، عبد الكريم ، الصراطات المستقيمة، قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية، ترجمة أحمد القبانجي، بيروت لبنان: دار الانتشار العربي، الطبعة الأولى، 2009، ص: 13 – 14،و أيضا: بنتاجة، محمد ، مدارس اللاهوت البروتستانتي الحديثة والتعددية الدينية: رؤية نقدية لبعض نظريات تدبير الاختلافات الدينية المسيحية الحديثة على ضوء الفكر الإسلامي، سلطنة عمان: وزارة الاوقاف والشئون الدينية، مجلة التفاهم، المجلد/العدد: س14, ع53، ص: 300 – 301.

وشـمول الرحمة والهداية الإلهية أحد المنطلقات التي يعتمدها "**شـروس**" في حديثه عن التعددية الدينية، إذ يرى أنه لا يمكن أن نصـف الله بأنه رحيم بعباده وعطوف ثم نصـف أن أكثر الناس ضـالون. وبذلك نكون قد حكمنا على الخطة الإلهية بالفشل وعلى الشيطان بالنجاح في إفشال جهود الأنبياء[20]. بالإضافة إلى محاولة الباحث الجنوب إفريقي "فريد إسحاق" أن يقدم رؤية متكاملة معتمدة تفسير النص القرآني يؤسس من خلالها لتعددية الخلاص أو النجاة، من خلال التدين الأخلاقي.

وقد حظيت هذه الطروحات باحتفاء من المؤسسـات الأكاديمية والاتجاهات العلمانية في العالم العربي ورأى فيها البعض أروع ما كتب في مواجهة أخطر مشـاكل المسـلمين المحجوبة عقولهم عن اكتشـاف ما في العالم من خير ونور، وإعادة اكتشـاف للإيمان والإنسـان[21]. كما قُدمت العديد من الدراسـات النقدية لهذه النظريات، ورأت أنها تقوم على تجاهل ظاهرة الوحي كحقيقة مفارقة خارجة عن ذات الإنسـان وأنه حيالها منفعل لا فاعل، وتدرجها ضـمن التجارب الإنسانية وتوسع نطاقها يكون في متناول الناس جميعاً، وتوسع إطار التجربة الإنسانية سواء في مصدرية النص الديني أو في التفاعل معه كما أنها لا تلتفت إلى الخلافات البينية بين الأديان التي تصـل إلى حد التناقض، ما بين مثبت للألوهية "**كالأديان السـماوية**"، وما بين منكر لها بالمطلق "**كالبوذية**" وكذلك ما بين الأديان السـماوية والمذاهب المنبثقة عنها من خلاف يصل لحد التضاد حول تلك الحقيقة[22].

ولسنا بصدد مناقشة ما سبق تفصيلاً لكننا نبدي بعض التحفظات ، لاسيما ما يتصل بالمبالغة في تضخيم دور المتلقي أو المفسـر، وإخضـاع النص الديني لذات الأدوات التي يتم التعامل بها مع النص الأدبي، ونقول بأن الانطلاق من رمزية لغة الوحي وآليات تأويله، يفترضـان قبول الوحي والاعتراف به أولاً، ولا يمكن الاسـتفادة منهما بأبعد من إقرار التعددية المذهبية وليس الدينية. وتوسـيع إطار التجربة الدينية لتشـمل النبوة لا يصـلح أن يكون سـبيلاً للقول باجتماع المتناقضات، ولا يمكننا افتراض الصدق في مخرجات التجربة الدينية كما سيأتي بيانه. ومن هنا تتأكد الحاجة إلى بحث هذه القضـية من خلال تقديم دراسـة لنماذج للأبحاث المقدمة في مجال التعددية الدينية، ونعرض بعض الأفكار التي تسهم في المساعدة على تقديم البديل الأكثر اتساقاً مع منظومة الفكر الإسلامي. .

3- التعددية الدينية بين النجاة واحتكار الخلاص:

إن التنوع والاختلاف بين الناس سنة من سنن الله الماضية في خلقه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: 118 – 119]، وليس الاعتراف بوجود الاختلاف والتنوع يعني الرضا به، فقد ذكر الإسلام بوجود تباين في المعبودات بين البشر، إلا أنه دعا إلى اعتناق الحق والصواب وما ثبت بالدليل والبرهان. ويبقى الإسلام هو السبيل الوحيد للخلاص، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: 85]، وقد أراد الله تعالى لهذا الدين السـؤدد والغلبة على سـائر الأديان الأخرى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

(20)انظر: شروس، عبد الكريم ، الصراطات المستقيمة ، ص: 50 – 55.

(21) انظر: إسماعيل، إبراهيم ، « محمد حبش والتعددية الدينية » على الرابط الآتي: https://islamsyria.com/ar/

فيما يخص تقييم محمد حبش لمشروع عبد الكريم شروس في كتابه الصراطات المستقيمة.

(22) للاطلاع على مناقشـة حجج التعددية والردود عليها انظر: اليوسـفيان، حسـن. دراسـات في علم الكلام الجديد، ترجمة محمد حسـن زراقط، بيروت لبنان: مركز الحضـارة لتنمية الفكر الإسـلامي، الطبعة الأولى، 2016، ص: 352 – 356 . وكذلك، الجدة، نجوان نجاح ، فلسفة الدين، العراق: مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، الطبعة الأولى 2016، ص: 70 – 73.

الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]. فالإسلام دين عالمي يقدم ما ينفع ويمكث في الأرض، وهذا طبيعي وليس فيه مصادرة على غيره، فإذا لم يقدم الأنفع والأصلح فلا مبرر لوجوده ولا للدعوة إليه.

ولكن هناك العديد من الآيات الكريمة التي تتحدث عن الآخر المختلف عني بالدين والمعتقد بمنظور مختلف عن هذه النظرة العامة. فهناك أديان أخرى تشارك الإسلام في أحقية الوجود وإمكانية النجاة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62]. وفي مجال النجاة نجد أيضاً آيات عديدة تشير إلى أن النجاة قد تشمل غير المسلمين كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: 113 - 115]. بل إننا نجد القرآن الكريم يقرّع اليهود والنصارى الذين يدعون أنهم وحدهم على الحق وما سواهم على الباطل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: 113].

يرى البعض أن ظاهر ما سلف ذكره يشي بشيء من التناقض، فكيف يكون الإسلام حقاً وسبيلاً وحيداً للخلاص، وكيف يمكن لأتباع ديانة أخرى أن يحظوا بالنجاة؟

ما هي مبررات الدعوة للإسلام في ظل إمكانية نجاة غير المسلمين في الآخرة؟

كيف تنسجم بعض الأحكام الفقهية كقتل المرتد والفتوحات الإسلامية والتخيير بين الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب، مع مبدأ حرية الاعتقاد ومبدأ القسط والمعاملة بالمثل.

كيف نوفق بين الممارسات العملية في صدر الدعوة القائمة على إرساء مبدأ المواطنة من خلال وثيقة المدينة والعهود التي أبرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب؛ بل وبعض قبائل المشركين، مع ما ذهب إليه جمهور الفقهاء إلى عدم المساواة بين مسلم وغير مسلم في القصاص والشورى والمجالس النيابية؛ بل وعدم جواز الاستعانة بهم عند مسيس الحاجة إليهم، ألا يخدش ذلك بمبدأ المواطنة؟

4- النجاة بعارض عدم الاهتداء للإسلام:

4-1 الإعراض عن الدعوة الإسلامية ابتداء دون نظر سبب للخلود في النار:

إن اجتماع الضدين أمر مستحيل عقلاً وواقعاً، وبالتالي لا يمكن أن تَصدُقَ الأديان المختلفة إلى حد التضاد حول الخالق والحياة والمصير في آن معاً، وأن الإيمان الحق بالإسلام هو سبيل الخلاص ويترتب على عدم الإيمان بالإسلام ابتداء أو الكفر به والخروج منه لاحقاً جملة من الأحكام والآثار لعل من أهمها الخلود في النار: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

وهنا نتساءل:

هل كلمة "يبتغي" مرادفة لكلمة "يعتنق"، أم أنها تحمل معنى الرغبة في غير الإسلام ابتداءً مع العلم بصدق الإسلام وأحقيته؟

وهل الإسلام هنا على معناه الخاص الذي يشير إلى الديانة الخاتمة، أم على معناه العام. فكل نبي بعث بالإسلام غير أن الشرائع تختلف، والإسلام هو الاستسلام والانقياد لله؟[23]

2-4 عدم الإيمان بعارض الشبهة أو عدم بلوغ الدعوة من أسباب النجاة:

الإيمان في اللغة التصديق، ومحله القلب، والمؤمن مَن تطابقت سريرته جاء في لسان العرب: "الإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق، ضدُّه التكذيب، يقال: آمن به قوم وكذّب به قوم[24]". وفي الاصطلاح هو التصديق بما جاء به رسول الله ﷺ مما علم من الدّين بالضرورة[25].

والكُفْر لغةً: هو الستر والتغطية، ومنه سمي الليل كافراً لأنه يغطي كل شيء بسواده وظلمته، وعليه فكل من ستر شيئاً فقد كفره. والكافر الفلّاحُ أيضاً؛ لأنه يستر البذور بالتراب، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غيثٍ أعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُه﴾ [الحديد:20]. وكفر بها أي جحدها وسترها[26]. فالكفر معاداة الحق وتكذيبه بعد معرفته، وسمي بذلك لأنه تغطية للحق. ومن شأن الإسلام أن يستحث الإنسان على التأمل والنظر وتمحيص الفكر ليصل إلى الحقيقة ثم يعتنقها ويسير في هديها، وقد ذكر العلماء للكفر صوراً متعددة:

فهناك كفر الجحود: بأن يعترف الإنسان بقلبه ولا يقر بلسانه: ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِين﴾ [البقرة:89]. وهناك كفر المعاندة: وهو أن يعترف بقلبه، ويقر بلسانه، ولا يدين به؛ ومن ذلك ما ورد من قول أبي جهل: "والله إن محمداً لصادق ما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصيّ باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوّة فماذا يكون لسائر قريش"[27]. ويضاف إلى ما سبق النفاق: وهو أن يقر بلسانه بما لا يعتقده بقلبه: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون﴾ [المنافقون:1] [28].

لنا أن نتساءل: هل هناك فريق آخر لم يصدّق ولم يقرّ ولم يخضع لأنه لم تتيسر له أسباب الهداية ولم يصل للحجة التي يتحقق بها إيمانه وتندفع بها شكوكه وأوهامه، وهل يُحكم عليه بالخلود في النار كسائر الكافرين أم لا؟

وهنا تقابلنا مسألة التحسين والتقبيح العقلي، وارتباط ذلك بمسألة إمكانية الوصول للحق وحدود مسؤولية الإنسان بناء على ذلك، والخلاف المشهور بين المعتزلة وغيرهم حول هذا الموضوع، ورأي أبي حنيفة في مسؤولية الإنسان عن أصول الشريعة عقلاً قبل ورود الشرع ، فقد نقل عنه أنه قال: " لا عذر لأحد في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السماوات والأرض" وقال : " لو لم يبعث الله رسولاً لوجب على الخلق معرفته بعقولهم"[29]. فإذا عاش الإنسان في جزيرة نائية دون أن يبلغه شيء من الرسالات السماوية فإنه يصل إلى الإيمان بالخالق عن طريق العقل، لكنه لا يكون مكلفاً

(23) انظر: الأنصاري، ابن منظور. لسان العرب، بيروت لبنان: دار صادر ، الطبعة الثالثة، 1414م، مادة «سلم» و12/ 295

(24) انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة «أمن».13 / 21.

(25) انظر: حبنكه، عبد الرحمن. العقيدة الإسلامية، دمشق، سورية، دار القلم، الطبعة الرابعة عشرة، 2009، ص 80.

(26) الأنصاري، ابن منظور. لسان العرب، 5/ 144 والفيروزآبادى، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لطبعة: الثامنة، 2005 م: فصل الكاف، باب الراء، ص: 470.

27- الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد . تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: القاهرة: مطبعة بولاق، سنة 1285، 417/1.

(28) انظر: إبراهيم الديبو، دراسات في علم الكلام، لبنان بيروت: طيبة للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 2021، ص: 296 - 297.

(29) ابن الهمام، الكمال ، المسايرة في علم الكلام، مصر: المطبعة المحمودية ، الطبعة الأولى، (د – ت) ، ص: 97 -98.

باتباع فروع الدين وسائر أحكامه التكليفية، بينما لا يرى الأشاعرة للعقل دوراً في إدراك أصول الشريعة أو فروعها، لذلك تنتفي المسؤولية عن فروع الدين وأصوله عند انتفاء التبليغ [30]. ويرى "رشيد رضا" أن مصير من لم تبلغهم الرسالة مختلف حسب صلاح أنفسهم وفسادها بهداية الفطرة والعقل[31].

والبحث في مسألة الترابط بين الاعتقاد الحق والنجاة يقودنا للبحث في نجاة "**أهل الفترة**" مع عدم صحة معتقدهم، والمقصود بأهل الفترة، عند كثير من العلماء، مَن لم تبلغهم الدعوة سواء أكانوا في فترة سابقة على زمن نبي ما أو في زمانه ولم يسمعوا به. قال "السعدي" في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]: "الله تعالى أعدل العادلين، لا يعذب أحدًا حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة، ثم يعاند الحجة، وأما من انقاد للحجة، أو لم تبلغه حجة الله تعالى؛ فإن الله تعالى لا يعذبه"[32]. وذكر الإمام الشافعي أنّه إذا قُتل مَن لم تبلغه الدعوة يُضمن بالدية والكفّارة ، وذهب بعض أصحابه إلى أنّه يجب في قتله القصاص، معللين ذلك أنه إذا مات لا يُعذّب؛ لأنه مؤمن على أصل الفطرة، ولم يقع منه عناد ولا جاءه رسول فكذّبه[33].

ومما يدل على نجاة من لم تبلغه الدعوة، ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «يكون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعونه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً»[34].

وقد ذكر ابن حزم أن هناك من العلماء من ذهب إلى القول بأن من لم يؤمن بعارض شك أو شبهة اتصلت بالموت وقد اجتهد في رفعها قدر وسعه واتصل بحثه واجتهاده في ذلك بالموت، فإنه من أهل النجاة قياساً على أهل الفترة. غير أنه بعد إيراده لهذا الرأي على وجاهته لم يرتضه، إذ اعتبر أن أهل الفترة لم يبلغهم خبر النبوة ولم يأتهم نذير، والشّاك ذو الشبهة شأنه مختلف [35].

إن الإيمان حقيقة تلامس القلب وتفرض نفسها عليه، ولعل المرء لا يصل إلى هذا الاعتقاد بمجرد تبليغ غير تام ، وهذا الأمر يحتاج إلى زمن قد يطول أو يقصر، ولا نستطيع أن نحكم على إنسان بالكفر أثناء اجتهاده في رفع الشبهات واستحضار ما يحمله على الإيمان من الأدلة، بناء ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول: إن المرء الذي لم يصل للإيمان وعاجله الأجل وهو في طريق بحثه وتحريه عن الحق أن الرسالة وصلته فأدار لها ظهره ولذلك يستحق العذاب لأنه كان يبتغي ديناً غير الإسلام.

---

(30) ابن الهمام، الكمال ، المسايرة في علم الكلام، ص: 91 -97. وحسن محمود الشافعي، المدخل إلى علم الكلام، دار القرآن والعلوم الإسلامية بكراتشي، الطبعة الثانية، ص: 83.

(31) انظر: رضا، رشيد. مجلة المنار، صدرت بمصر بدءاً من آذار 1898م، 33/ 670

(32) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير السعدي، تحقيق، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة 2002، 1/ 455 .

(33) انظر: السيوطي، جلال الدين. الحاوي للفتاوي. بيروت لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ، 2004، 244/2

(34) ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤط، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1999، الحديث رقم: (16301).

(35) انظر: اين حزم، علي بن أحمد. الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصر: مكتبة خانجي ، دون بيانات أخرى، 34/4 .

وهكذا فلا تلازم بين صحة المعتقد ونجاة صاحبه، فقد يكون المعتقد فاسداً لعدم تبليغ أو عارض شبهة أو آفة... ومع ذلك يكون صاحبه من أهل النجاة في الآخرة. ويمكننا القول إن الكثيرين اليوم لا تتجاوز معرفتهم عن الإسلام إلا تلك الصورة النمطية التي ترد في سياق الإرهاب والاضطهاد والعنف. وهذه الصورة لا تثير الفضول لدى الإنسان لاعتناق الإسلام. ولهذا اعتبر بعض الباحثين أن الكثير من الناس اليوم يُعتبرون من أهل الفترة المعاصرة أو الحديثة[36]. وقد ذكر الشيخ "رشيد رضا" من قبل أنه لا يمكننا اعتبار الناس قد سمعوا عن رسالة الإسلام مالم يسمعوا عنها بطريقة مستقطبة جاذبة[37]. ويفرق " يوسف القرضاوي" بين أحكام الدنيا والآخرة في حق من سمع بدعوى الإسلام ولم يؤمن بها للشبهات الكثيرة التي تشكل حاجزاً كبيراً بينه وبين الإيمان، وهو يرى بأن هذا الإنسان من الناحية القانونية الظاهرية كافر، فلا توارث ولا تزاوج بينه وبين مسلمين، أما في الآخرة هل هو ناج عند الله تعالى أو معذب، فالله أعلم[38].

3-4: القصور والتقليد قد يكون سبباً للنجاة:

يمكننا أن نلفت النظر إلى نقطة أخرى تتصل بقضية العذر بعدم قيام الحجة، وهي قضية صحة إيمان المقلد، فقد ذهب جمهور المتكلمين إلى صحة إيمانه مع الإثم إن كان لديه أهلية النظر[39]، فلماذا لا ينطبق العذر ذاته على المقلد من الأديان الأخرى الذي قصر نظره وضعفت محاكمته عن الوصول للحق فقبع على دينه مقلداً بني قومه في ذلك، أليس من العدل أن يكون حكمنا في كلا الشخصين واحد وقد تماثلا في ذلك؟

وقد ذهب بعض الباحثين في هذا الموضوع إلى التفريق بين نوعين من التدين، يمكن أن نطلق على أحدهم اسم التدين "المعلل" المستفاد من البيئة والممارسات الاجتماعية ونحو ذلك ، والثاني "التدين المدلل" القائم على الحجة والدليل والبرهان، ويرى أنه في حين عدم قدرة العوام على تجاوز مرتبة "الإيمان المعلل"، فإن "المحققين" يصلون في ذلك إلى مرتبة الإيمان المدلل، لكن العوام لا يستطيعون الوصول إليها، ومن العبث مطالبتهم بها، لأنه لا تكليف بما لا يُطاق، فإذا قبلنا القول بنجاة العوام في دين ما، فما الفرق بين عوام دين وعوام دين آخر؟ وهذا يتوافق مع المبدأ الأساسي في التشريع الإسلامي القائم على أن الإنسان غير مسؤول عمّا يقع خارج سيطرته، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[البقرة:286].

5- النجاة دون الحاجة للاهتداء للإسلام:

5-1 مدرسة المنار وإرهاصات الفكرة:

لقد كانت وجهة النظر السائدة حتى مشارف القرن العشرين أنه لا نجاة لإنسان إلا بالإسلام، استناداً لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[النساء: 115]، ومع بداية القرن العشرين برز رأي مختلف، رأى أصحابه إمكانية ذلك، وبرزت قضية أخرى هي نجاة من لم يعتنق الإسلام بمعزل عن أي تعليل أو سبب.

(36) انظر: الوداعي، مقبل، مجموع فتاوى الوادعي، جمع وترتيب صديق محمد البيضاني، طبعة خاصة، المدينة المنورة، 1424. 1/ 414

(37) انظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام 1990، دون بيانات أخرى، 1/ 280 - 281

(38) انظر: موقع اسلام أون لاين : https://fiqh.islamonline.net /

(39) تتان، عبد الكريم، كيلاني، محمد أديب. عون المريد لشرح جوهرة التوحيد، دمشق، سوريا: دار البشائر، الطبعة الثانية، 1999، 174/1.

بدأ هذا الاتجاه مع مدرسة محمد عبده ومدرسته في مصر، والعالم الباكستاني فضل الرحمن مالك في كتابه المسائل الكبرى في القرآن الكريم[40]، وقد قُدمت مؤخراً حول هذا الموضوع رؤى متكاملة يعتمد بعضها الجدل الكلامي والحجج العقلية كما في كتاب"الصراطات المستقيمة" الذي كتبه "عبد الكريم شروس" مستبطنا تجربة الفيلسوف البريطاني " جون هيك" في هذا المجال. كما كانت هناك كتابات تعتمد على الأدلة القرآنية والتطبيقات النبوية في عصر الرسالة، ومن أشهرها ما قدمه الباحث الجنوب إفريقي " فريد إسحاق" في كتابه: " القرآن والحرية والتعددية" ولإعطاء صورة متكاملة حول هذا الموضوع لابد من الوقوف على كلا الدراستين المقدمتين في هذا المجال.

2-5 الاستدلال الفلسفي على النجاة دون الحاجة للاهتداء للإسلام:

في كتابه "الصراطات المستقيمة" يعتمد "عبد الكريم شروس"، على أدلة فلسفية جدلية بعيدة عن الآيات القرآنية وتأويلها ، ولعل ذلك راجع إلى نظريته في النص والواقع ومشروعية القراءات المتعددة للوحي، فقد فرّق بين الدين بوصفه ثابتاً متمثلاً في الوحي وبين المعرفة الدينية النسبية والمتغيرة تبعاً للمتغيرات في حقول المعرفة الأخرى، فالوحي نص ساكن ساكت يجب علينا أن نستنطقه بأدواتنا المعرفية النسبية، لذلك لا بد من تقديم قراءة من خارج النص الديني لموضوع التعددية رغم إمكانية تحقيق ذلك من خلال قراءة نصوص الوحي ذاتها، ولكن الأمر سيغدو تحصيل حاصل.

وفي الوقت نفسه لا يمكن المصادرة على قراءة أخرى مباينة لما سيقدمه إذا ما انطلق من النص؛ لأن النص مفتوح على احتمالات كثيرة لا يلغي أحدها الآخر، والأساس الذي يقوم عليه التعدد هو تنوع الأفهام في تعاملها مع المتن الديني، ويقول في هذا إن " تعدد التفاسير للمتن الديني يمثل وجوهاً متعددة للحقيقة" [41]، إذ " من غير الممكن الفصل بين الدين وتفاسيره"[42] . لكن تبرير التعددية الدينية بتعدد الأفهام لا يصلح إلا من أجل الاعتراف بحق الآخر في فهمه وعدم فرض رأينا عليه ولا يقتضي ذلك صحة ما فهمه. كما أنّ النسبية في فهم النص الديني تقتضي الإقرار بالنص الديني أولاً، وهذا لا يقع إلا ضمن الدين الواحد، وبالتالي سيكون هذا التعدد مذهبياً وليس دينياً ، إن هذه الرؤية تصلح للتسامح بين أهل الدين الواحد على اختلاف مذاهبهم فيعذر بعضهم البعض الآخر فيما تبنى من مفاهيم حول الدين، ولا يقتضي ذلك صحة جميع المذاهب رغم اختلافها وتناقضها [43].

ويعتمد عبد الكريم شروس على ملحظ آخر للتعددية وهو التنوع في فهم التجارب الدينية المتمثلة في اتصال الإنسان بعالم الغيب وتجلي الله لكل إنسان بحسب مقامه ووعيه. واعتبرها السبب الثاني لتعليل التعدد والتنوع في الفكر الديني، وبحسب شروس فإن التجربة الدينية تعني" المواجهة مع الأمر المطلق والمتعالي"[44]. وتتمظهر في صور مختلفة "فقد تبدو أحياناً بصورة الرؤيا أو بسماع النداء أو برؤية الشكل واللون أو بالإحساس بعظمة مطلقة لا متناهية، أو بالقبض والظلمة أو بالبسط والنورانية، وقد تبدو أحياناً أخرى كعشق لمعشوق غير مرئي، أو إحساس بحضور

(40) انظر: مالك، فضل الرحمن، المسائل الكبرى في القرآن الكريم، ترجمة محمد أعفيف، بيروت، لبنان: جداول للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013، ص: 162 وما بعدها. وسيتم مناقشة عرض رأي مدرسة المنار تفصيلاً فيما سيأتي.

(41) شروس، عبد الكريم ، الصراطات المستقيمة، ص: 18

(42) شروس، عبد الكريم ، الصراطات المستقيمة، ص: 33

(43) انظر: العاملي، الشيخ مالك مصطفى وهبي . قراءة في التعددية الدينية، هل هي دعوة إلى اللادينية، بيروت لبنان: دار الهادي، الطبعة الأولى، 2007، ص: 32 – 33، 53.

(44) شروس، عبد الكريم. بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة، وجهات فلسفية في التعددية الدينية، ترجمة حيدر حب الله، بيروت لبنان، دار الهادي ، الطبعة الأولى، 2011ص: ص: 24

روحاني لشخص ما أو اتحاد مع شخص أو شيء ... وأحياناً حزن وإحباط من التعلقات الفانية، وتحليق للقلب نحو البقاء والخلود، وأخرى تظهر عن طريق تجلي جذبة أو عطش أو فراغ أو نور أو جمال أو بهجة"[45].

وهكذا فالتجربة الدينية أمر يعيشه كل واحد منا بأحاسيسه المختلفة والمتنوعة، وقد كانت تجارب الأنبياء في هذا المجال لا تخرج عن ظرفهم التاريخي وسياقهم المعرفي[46]، فالاختلاف بين الأديان ليس في واقع التجربة وصدقها، فالكل يتجه نحو مقصد واحد، هو تلك القدرة وذاك الجمال وإنما الاختلاف يقع في تفسير تلك التجربة والتفسير لا يغير من الحقائق شيء. ويرى شروس أنه بذلك يكون قد وقف على الركيزتين الأساسيتين في موضوع التعددية الدينية مما يسوغ في النهاية قبول رؤية الفيلسوف البريطاني "**جون هيك**" للأديان المختلفة على أنها انعكاسات وتجليات لحقيقة الألوهية[47]. فالأديان بجملتها لا تعدو أن تكون قراءات متعددة للوحي مُقدّمة في سياق التجربة الدينية الذاتية لكل نبي وتغدو التعددية أمراً مبرراً ومشروعاً عقلاً وواقعاً.

إن انجذاب الإنسان عموماً نحو الذات الإلهية من الأمور الثابتة، وذلك من تجليات الفطرة السليمة في توجهها نحو الله، ولكن ظاهرة النبوة لا تندرج ضمن سياق هذه التجارب ، فهي تلق لحقيقة خارجية مصحوبة بالوحي والمعجزة، وإذا أدرجت النبوة ضمن إطار التجارب الدينية جدلاً، فإن ذلك لا يستدعي القول بالتعددية الدينية؛ فالأنبياء جميعاً عبروا عن حقيقة واحدة ودعوا لدين واحد.

ثم إن التجارب الدينية التي يعيشها الناس لا تلتقي في مسار وجداني واحد وليست كلها صادقة في تجلياتها، وربما تسرب الوهم والانحراف إلى بعضها وقد أشار القرآن في العديد من الآيات إلى ما يمكن أن تجليات بعضها كانت سلبية، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: 8]، دلت الآية على أن هذا الذي مر بتلك التجربة في لحظة الضر قد أخطأ في التفسير عمداً، فجعل لله أنداداً، فحكم عليه القرآن بالكفر وجعله من أصحاب النار[48].

وشمول الهداية والرحمة الإلهية من المبررات التي تمسك بها "**عبد الكريم شروس**" كمبرر لصحة معتقد الآخرين وبالتالي نجاتهم، فكيف لنا أنْ نصف الله بأنه رحيم بعباده ثم نُصرّ على أن أكثر الناس ضالون، واسم الله الهادي يستلزم أصالة الهداية وعدم جواز حصرها بفئة قليلة من المتدينين، ووسم الباقي بالضلال، وإلا لباءت جهود الأنبياء بالفشل، وكانت إرادة الشيطان في الإغواء غالبة على إرادة الخالق في هداية عباده[49]. فالناس كلهم مهتدون والتفاضل بينهم يكون بالعمل بالأخلاق والعمل الصالح وذلك أفضل دليل على حسن التدين [50] .

ولكن بحسب ما ذكرنا سابقاً، فإنه لا علاقة بين عدم الاهتداء والحرمان من الرحمة، فرحمة الله ربما تنال بعض الذين لم يهتدوا للحق لأسباب خارجة عن إرادتهم. ولا يمكننا أن نتجاهل جهود الأنبياء ونقول ذهبت سدى ولم يحققوا

(45) شروس، عبد الكريم، بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة، ص: 24

(46) شروس، عبد الكريم ، الصراطات المستقيمة ، ص: 33

(47) شروس، عبد الكريم. الصراطات المستقيمة، ص: 37

(48)انظر: العاملي، الشيخ مالك مصطفى وهبي . قراءة في التعددية الدينية، ص: 61 – 62.

(49) شروس، عبد الكريم. الصراطات المستقيمة، ص: 48- 49

(50) شروس، عبد الكريم. الصراطات المستقيمة، ص: 50

أي إنجاز في مجال هداية الناس ، لا شك أنهم حققوا نجاحات للبشرية. وصحة وصف الله بالهادي ورحمته وهدايته لا تتوقف على اهتداء جميع الناس بل على تأمين سبل الهداية للإنسان ثم إعطاؤه إمكانية الاختيار[51].

3-5 الأدلة القرآنية على **النجاة دون الحاجة للاهتداء للإسلام**:

يرى "فريد إسحاق"، أن السبب في مشروعية بقاء أديان أهل الكتاب بعد مجيئ الإسلام أن هذه الأديان تحتفظ من الصحة بما يكفيها للنجاة يوم القيامة، فجوهر رسالة الأنبياء واحد وهي جميعها تتضمن الدعوة لتوحيد الله وعبادته تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]. وبغض النظر عن الانحرافات التي طرأت على تلك الديانات إلا أن ذلك لا يمنع من بقاء بعض أتباعها على الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوه﴾ [آل عمران: 113 – 115].

وقد أكد " **إسحاق**" أن القرآن الكريم يتجنب التعميم في الأحكام التي يطلقها على أهل الكتاب، ويذكر أنه في بعض الآيات ترد كلمة "منهم" أو "كثير منهم" أو : "فريق منهم" أو " أكثرهم" كما في قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 66] ، وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [البقرة: 145]، [الحديد: 26]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102] . ولذلك فاستخدام التعميم للتعبير عن أهل الكتاب جملة غير دقيق، إذ الآيات الكريمة نزلت في سياق معين متعلق بمجتمع المدينة المنورة، ولتجنب التعميم يجب أن تكون لدينا معلومات واضحة عن عقائدهم والفروق الدقيقة المتعلقة بالجماعات المختلفة التي واجهها المسلمون الأوائل. ونظراً لقلة المعلومات المتصلة بهذه الجوانب فالأجدر بنا إما التخلي عن البحث عن مجموعة ذات عقيدة مطابقة لنعمم الاستثناء عليها أو تحويل الاهتمام إلى الممارسات والمواقف بدلاً من العقائد[52].

وهنا نتساءل هل يكفي العمل الصالح والأخلاق الحسنة للحكم بالنجاة في الآخرة، وهل يمكننا القول إن سبب الاستثناء الوارد في الآيات الكريمة السالفة الذكر هو السلوك وحسب؟

لا نجد لدى فريد إسحاق إجابة واضحة حول هذه النقطة، رغم أنه يؤكد شمولية الخلاص، فالقرآن يدين أهل الكتاب القائلين: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18]، والقائلين: ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 111]. كما أن القرآن يسجل عدم صدق دعواهم ودعوى من يسير على نهجهم في نفي كل خيرية أو صواب عن غيره في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: 113]. وليس ذلك وحسب؛ بل إن القرآن يذكر إمكانية الخلاص لغير المسلمين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62] [53].

(51) انظر: اليوسفيان، حسن. دراسات في علم الكلام الجديد، ص 359 – 360.

) 52(Pak: Farid Esack; Qur'an Liberation and Pluralism: An Islamic Perspective of Interreligious Solidarity Against Oppression, Oxford: One world Publications, 1997, paperback, p. 152 - 160

)53 (Pak: Farid Esack; Qur'an Liberation and Pluralism, p. 152 - 153

وبحسب " فريد إسحاق"[54] فإن المسلمين رغم احترامهم خصوصية غير المسلمين وإقرارهم بمشروعية الوجود القانوني لهم، فإنهم يتحفظون في قضية نجاتهم الأخروية، اعتماداً على أدلة منها قولهم إن آية النجاة السابقة [البقرة: 62]، قد نُسخت بالآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: 85]. وبالتالي إن ما يتبادر إلى الذهن من نجاة أقوام أدركوا الإسلام ولم يؤمنوا غير دقيق، فقد ذكر "ابن عباس" رحمه الله، أن الآية [62] من سورة البقرة نزلت أول الإسلام، وقدّر الله بها أنه من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومن بقي على يهوديته ونصرانيته وصابئيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر فله أجره، لكن هذا الحكم نُسخ فيما بعد[55]. هذا بالإضافة إلى أن شريعة كل نبي نُسخت بالنبوة التي تلتها. فيكون المقصودون بالآية أولئك الذين كانوا في دينهم قبل أن ينسخ مصدقين بالمبدأ والمعاد، عاملين بمقتضى شرائعهم. أو مَن آمن من هؤلاء إيماناً خالصاً ودخل في الإسلام دخولاً صادقاً فَلَهُمْ مِن الأجر ما وعدهم الله به على إيمانهم وعملهم ولا خوف عليهم حين يخاف الكفار من العقاب[56].

ويواجه القول بالنسخ إشكالات عديدة، أهمها الآية المعنية المُدّعى نسخها لا تتعلق بالتشريع العملي، وإنما بالجانب العقائدي، وقد اتفق العلماء أنه لا نسخ في العقائد؛ لأن أحكام العقيدة لا يتصور فيها توارد الإثبات والنفي على مسألة واحدة، كما أن سبب النسخ لا يُعقل فيها، فهي ليست من مسائل التشريع التي تدور مع المصالح وجوداً وعدماً ويختلف الحكم فيها باختلاف الزمان والمكان[57]. كما أنه ليس في الآية ما يدل على أنها إنما تتحدث عمَّن ترك دينه ودخل في الإسلام من أتباع الملل المذكورة، فهي تذكر الذين آمنوا والمفهوم منها أنهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بوصفهم قسيماً للأصناف الموجودة، ولا معنى لذكر تلك الانتماءات إذ سيكونون مسلمين. ولم يُعهد أن نسب على من أسلم من أهل الكتاب إلى دينه السابق.

على أن رشيد رضا ميّز بين نوعين من الإيمان، الأول: إيمان يهذب الأخلاق ويصلح الأعمال، والثاني هو تصديق نظري بالدين في الجملة ليس له أثر في تزكية النفس وتهذيبها وحملها على الأعمال الصالحة. ويرى رضا أن الإيمان المعتبر هو النوع الأول أما الثاني فلا أثر له في رضا الله ولا غضبه، ولا في نجاة صاحبه أو هلاكه. وبحسب رضا، المراد بـ: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ المسلمين الذين اتبعوا محمدا - صلى الله عليه وسلم، والمراد بـ: ﴿**الَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ**﴾ الفِرق التي عرفت بهذه الأسماء من أتباع الأنبياء السابقين، ﴿**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾؛ أي من آمن منهم بالله واليوم الآخر، وفق الشروط الإيمان الصحيح " النوع الأول"، ﴿**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ أي إن حكم الله العادل، وهو يعاملهم بسنة واحدة لا يحابي فيها أحداً، فلهم أجرهم المعلوم بوعد الله، ولا خوف عليهم من عذاب الله يوم يخاف الكفار والفجار مما ينتظرهم، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم. ولا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي - صلى الله عليه وسلم؛ لأن الكلام في معاملة الله - تعالى - لكل الفرق أو الأمم المؤمنة بنبي ووحي بخصوصها، الظانة أن فوزها في الآخرة كائن لا محالة؛ لأنها مسلمة أو يهودية أو نصرانية أو صابئة مثلا، فالفوز عند الله لا يكون بالانتساب ولا بالجنسيات الدينية، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس، وعمل يصلح به حال الناس؛ ولذلك نفى أن تكون النجاة تبعاً لأماني المسلمين وأهل الكتاب، وأثبت أنها بالعمل الصالح مع الإيمان الصحيح

)54 (Pak: Farid Esack; Qur'an Liberation and Pluralism, p. 165

(55) انظر: التوحيدي، أبو حيان. البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، بيروت لبنان: دار الفكر، طبعة عام 1420هـ، 1/ 387- 388.

(56) انظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق عبد الرحمن المرعشلي، بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1418، 3/ 535- 536.

(57) انظر: إسماعيل، محمد بكر. دراسات في علوم القرآن، القاهرة: دار المنار، الطبعة الأولى1991، ص: 245.

فالآية بيان لسنة الله - تعالى - في معاملة الأمم، تقدمت أو تأخرت: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**﴾ [النساء: 133 – 124] [58].

لا شك أن تفسير "رضا" مثير للاهتمام، إذ لا معنى لإيمان لا يصلح السلوك ولا يسدد العمل، ولكن لا يعني ذلك أنه لا دور للتصديق القلبي، فالإيمان درجات يزيد وينقص، الأعمال تتفاوت حسناً وقبحاً، الإيمان بالمعنى التقليدي المتضمن التصديق بالدين جملة ليس له في رضا الله وسخطه.

ويمكن حلّ التعارض الظاهر بين آيتي النجاة والخسران لغير المسلمين [البقرة: 62] و[آل عمران: 85] باللجوء إلى التفريق بين الإسلام بالمعنى الخاص أي الدين الخاتم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وبين الإسلام العام ويعني الاستسلام لله والخضوع الكامل لإرادته تعالى[59]، والذي هو دين الأنبياء جميعاً ويشمل المؤمنين بمحمد أو بغيره من الأنبياء السابقين، وهناك العديد من الآيات التي تفيد هذا المعنى. وقد اعتمد هذا التمييز بين المعنيين الخاص والعام للإسلام من قبل العديد من الباحثين الغربيين وللدلالة عليه في كتاباتهم الحرف الأول من كلمة إسلام بشكله الصغير (i) للمعنى الخاص، والشكل الكبير (I) للمعنى العام[60].

واستشكل "جوناثان بروان" ، ربط الخلاص بالإسلام بمعناه العام بمعزل عن الإيمان محمد صلى الله عليه وسلم استناداً للآية: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

وقد افترض رشيد رضا هذا الاستشكال سابقاً وأجاب عنه بجعل الفلاح مستويات، فهناك الفائزون بالرحمة العظمى والرضوان دون سواهم من أهل كل زمان ومكانٍ، وهناك من يفوز فوزاً أدنى من ذلك، هؤلاء وهم أتباع سائر الأنبياء، وهناك الخائبون المخذولون[61]. غير أن سياق الآية يشي بأنها تتحدث عن أقوام من أهل الكتاب آمنوا بالنبي الأمي، غير أن أسباب النزول لا تسعفنا بشيء في هذا الخصوص.

ومهما يكن من أمر فإن الأفكار التي سيقت في موضوع النجاة والخسران تناقش الموضوع فيما يخص فئة محددة من غير المسلمين أي أهل الكتاب ومن في حكمهم ولا تناقش الموضوع بما يشمل الأديان والعقائد الأخرى خارج دائرة أهل الكتاب، فهي إذن لا تؤسس لمبدأ المواطنة بمفهومها الشامل ولا تحل الإشكال على المستوى العالمي ولا تستجيب لواقع التعددية في الدول والمجتمعات الحديثة.

6- التعددية الدينية السلوكية وتأسيس مفهوم المواطنة:

6- 1 ولادة مفهوم المواطنة في العهد النبوي:

(58) انظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، 1/ 277 - 278.

(59) انظر في التفريق بين الإسلام بالمعنى الخاص والإسلام بالمعنى العام: ابن عبد السَّلام ، العز.معنى الإيمان والإسلام، تحقيق إياد خالد الطباع، سورية، دمشق: دار الفكر، الطبعة الثانية، 1992، ص 17.

(60) انظر: بروان أ.س، جوناثان ، مصير غير المسلمين: رؤى حول نجاة من هم من غير المسلمين، على الرابط الآتي:

https://yaqeeninstitute.org/jonathan-brown

(61) انظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، 9/ 198.

يُستخدم مصطلح التعددية في كثير من الأحيان للتعبير عن مبدأ التعايش مع الآخر المختلف في المعتقد، والتعامل معه وفق المبادئ الإنسانية والأصول الأخلاقية، بغض النظر عن صواب معتقده أو خطئه، ودون البحث عن كونه معذوراً في عدم الاهتداء للدين الحق أو غير معذور، أو مصيره في الآخرة هل هو ناج أم خاسر. وهذا المعنى ليس موضع مناقشة كبيرة في الجدل الكلامي أو الفلسفي؛ فهو لا يتنافى مع حصرية الدين، ولا يعني بالضرورة أننا نقول بالتعدد في عالم الحقيقة، وإنما التعدد هنا في الواقع الاجتماعي، ولا ينافي اعتقاد كل فئة بأنها على حق[62].

وفي الإسلام يمكننا القول إن المتطلبات الاجتماعية والسياسية المتصلة بتحقيق التماسك الاجتماعي وبناء الدولة شكلت منطلقاً أساسياً لإنشاء تعددية من هذا النوع منذ الهجرة إلى المدينة المنورة، حيث تم التعامل مع أهل الكتاب كجزء من نسيج المجتمع الجديد، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الوثيقة و كانت بمثابة دستور يبين المسؤوليات والحقوق والواجبات للقاطنين في المدينة وما حولها، المختلفين في المعتقد، ووُضِعتَ فيها أسس التعايش السلمي المشترك بين المسلمين وغيرهم، بما يحفظ الدماء والأموال، ويحمي الحريات وعلى رأسها حرية العقيدة، إذ ورد فيها : " لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته"[63]، كما أبرم بعد ذلك جملة من العهود والاتفاقات مع بني ضمرة وبني غفار وبني أشجع... وغيرهم من قبائل مشركي العرب [64].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنّ الإسلام لا يُقصي أصحاب الاعتقادات الأخرى؛ بل يعترف لهم بالاختلاف بناء على حرية الإرادة، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: 256]، كما دعا القرآن الكريم إلى أن تكون علاقة المسلمين بأهل الكتاب على أساس من العدل وكلمة السواء: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64]، وأحل للمسلمين طعامهم وأباح الزواج بنسائهم.

ولم يقتصر الأمر على أهل الكتاب بل شمل غيرهم: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: 8]. وقبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم الفداء في مشركي قريش وتركهم على شركهم، ولمّا دخل مكة فاتحاً قال لهم: "**اذهبوا فأنتم الطلقاء**"[65]، والأحاديث كثيرة في حرمة التعرّض لهم أو الانتقاص من حقهم ، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم؛ "ألا مَن ظلم مُعاهِدًا وانتقصه وكلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طِيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة"[66].

2-6 قصور الممارسات العملية لمفهوم المواطنة بعد العهد النبوي:

لدى التأمل في هذا الجانب تقابلنا نقاط استفهام عديدة تجعلنا ننظر لهذه المواطنة بعين الريبة، فإذا تساءلنا عن حدود مشاركة غير المسلمين في الشؤون السياسية ومدى إمكانية دخولهم في مجالس الشورى، لوجدنا جمهور

(62) انظر: اليزدي، مصباح ، التعددية الدينية، ضمن كتاب بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة، وجهات فلسفية في التعددية الدينية، ص: 4.

(63) انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لبنان، بيروت: دار النفائس، الطبعة السابعة 2001م).

(64) انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص: 266 - 268.

(65) ابن هشام، عبد الملك. سيرة ابن هشام، تحقيق رؤوف سعيد، بيروت لبنان: دار الجيل، طبعة عام 1411، 74/5.

(66) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتاب العربي، الخراج، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، رقم(3054).

الفقهاء يتحفظون على ذلك، ولرأينا بعضهم يتحفظ على الاستعانة بهم في القتال حتى عند مسيس الحاجة لهم. وإذا دققنا النظر في بعض القضايا الجنائية المتصلة بهم لوجدنا أن هذه المواطنة مخدوشة، فلا قِصاص على مسلم بقتل كافر ولو كان معاهداً أو ذميّاً؛ إذ القصاص يقتضي المساواة ولا مساواة هنا، والاعتراف بهم كان ضمن نطاق معين لا مطلقاً، ولم تكن لهم كل الحقوق والواجبات التي كانت للمسلم، عداك عن المشركين الذين لا يتم الاعتراف بهم على مستوى الانتماء للوطن فضلاً عن بطلان المعتقد[67].

وهناك فريق من المسلمين يتحفظون على إظهار الودّ لغير المسلمين بالنية أو القول أو الفعل، فضلاً عن تهنئتهم في مناسباتهم الدينية أو الترحم على ميتهم والدعاء له أو بدئهم بالسلام ؛ إذ يرون أن كل ذلك يتعارض مع ما يجب أن يكون عليه المسلم من الاعتقاد أو السلوك، وربما يقترب بصاحبه في بعض صوره من الكفر[68]. وفي ذلك يقول ابن تيمية: "والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإنَّ الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه"[69]. هذا بالإضافة إلى ما يتصل بقتل المرتد، ومبررات الفتوحات الإسلامية التي يرى فريق من الفقهاء أنها قامت لفرض الإسلام على الآخرين بوسيلة أو بأخرى، وما تخيير الناس بين خصال ثلاث؛ الإسلام أو الجزية أو القتال، إلا شاهد على ذلك.

ونستطيع أن نجد لكل ما سبق ذكره من الاجتهادات ما يقابلها وإن كانت أقل عدداً وأخفت صوتاً، فهناك من أجاز المشاركة السياسية والشورى لغير المسلمين في الدولة الإسلامية، وهناك من أباح الاستعانة بهم في الحرب، وساوى بينهم وبين المسلمين في الدية والقصاص. وهناك من تحفظ على حدّ الردة، وكان للبعض فلسفة خاصة للحرب فهي ليست دينية يمليها التعصب الديني، بهدف إبادة المخالفين أو حملهم على الدين حملاً وليست الحروب في الإسلام بقصد التسلط على الأمم والشعوب الأخرى؛ لأن الظلم محرّم وممنوع في الإسلام، وهي ليست حروبًا استعمارية لسلب الشعوب خيراتها وثرواتها. إنما الحرب مشروعة في الإسلام بقصد حماية نشر الدعوة الإسلامية، وصون الدعاة إلى دين الإسلام، وردّ اعتداء الآخرين، وهي ضرورة يُلجأ إليها في حدود الحق والعدل[70].

لكن كل ما سبق لا يلغي أصل المشكلة، فكون هذه الأمور موضع جدل، وأن إقصاء الآخر الشريك في الوطن – ولو نسبيّاً - مورس بذرائع دينية، فالمبدأ نفسه غدا موضع مراجعة، ولا يمكننا أن نمارس الانتقائية ونختار ما يعجبنا ونغمض أعيننا عن غيره. والسبب في ذلك أن المسلمين لم يتعاملوا مع الآخر وفق ما يقتضيه العدل وكلمة السواء، وذلك عائد بدوره إلى فكرة احتكار الخلاص وعدم النجاة لغير المؤمنين بالآخرة، كما كان من اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18]، ورغم إدانته لذلك إلا أن البعض لازال يكرر تلك المقولة: ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ [البقرة: 113]. ولازال البعض يخلط بين إمكانية النجاة في الآخرة مع الصوابية المطلقة للمعتقد. أو يتجاوز حدود بشريته ليحكم على شخص ما أنه لم يؤمن رغم وجود المقتضي وانتفاء المانع.

ثم ما المانع في أن نعامل غير المسلمين معاملتنا للمنافقين مع قطعنا بأن المنافقين أردى حالاً وأسوأ مآلاً: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء: 145]، وقد ورد أن رسول الله استغفر لهم وصلى عليهم.

---

(67) للوقوف على الأحكام التفصيلية في المسائل المشار إليها انظر: زيدان، عبد الكريم. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة، طبعة عام 1982، مواضع متفرقة.

(68) انظر: الديبو، إبراهيم. دراسات في علم الكلام، ص: 240 -241.

(69) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع فتاوى، تحقيق، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، طبعة عام 209/199528 .

(70) انظر: الزحيلي، وهبة. آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دمشق، سورية: دار الفكر، دون بيانات أخرى ، ص: 12 – 15 .

وهكذا يمكننا القول بأن بذور التعددية الدينية السلوكية قد وجدت في القرآن الكريم وموروست في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لم يتم استنباتها في العهود اللاحقة على الوجه الذي ينبغي.

7- الخاتمة:

تشير التعددية الدينية إلى علاقة الأديان المختلفة ببعضها مع تعارض المعتقدات، والحلول المقترحة لتسويغ التفاعل الإيجابي بين أتباع هذه الأديان.

انتقلت المسيحية في نظرتها إلى الآخر من الحصرية المطلقة إلى التعددية مع نهاية القرن الثامن عشر، إلى أن أقر المجمع الفاتيكاني الثاني المنعقد في العقد السابع من القرن العشرين إمكانية الخلاص لغير المسيحيين، وظهرت العديد من الطروحات التي أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في ترسيخ فكرة التعددية، كرمزية اللغة الدينية والنظريات التأويلية الجديدة وفلسفة التجارب الدينية، وكان من تجليات ذلك أن وصل الأمر إلى القول بوفرة القداسة وتعدد الحقيقة الدينية.

وصلت الاتجاهات السابق ذكرها إلى العالم الإسلامي وظهرت مقولات مشابهة لما سبق في المنطلقات والنتائج، غير أن ما قُدم كان في مجمله متابعاً لما تم تداوله في الدراسات الغربية ومتأثراً به، لم يقدم ما يمكن أن يسهم فعلاً في فهم هذه الظاهرة بما يتوافق مع الرؤية الإسلامية، الأمر الذي حاول هذا البحث أن يشير إليه، وانتهى إلى النتائج التالية:

- إن الإسلام يقر بالتنوع والاختلاف بين الأديان كأمر واقع دون الاعتراف بالصواب للجميع، ويقدم نفسه على أنه الحق الذي يأخذ بيد الإنسان ويهديه للتي هي أقوم وأصلح، وهذا طبيعي شأنه شأن غيره، وإلا لفقد مبررات وجوده ودعوة الناس لاعتناقه.
- إن النجاة في الآخرة تكون أولاً بمعرفة الحق واعتناقه، أما معرفة الحق وعدم اعتناقه والتنكر له وجحوده فإن كل ذلك يؤدي بالإنسان إلى الخسران.
- لا توجد علاقة ضرورية بين النجاة وصحة المعتقد، فقد تكون هناك نجاة لمن لم يصل إلى الإسلام بعارض الشبهة المتصلة بالموت أو عدم الوصول للدين الحق لعدم الوصول للرسالة على وجهها الصحيح.
- يرى البعض أن النجاة قد تتحقق دون الحاجة للاهتداء للإسلام وقد قُدمت في هذا المجال دراسات يقوم بعضها على أساس فلسفي وبعضها الآخر على أساس فهم النصوص القرآنية وتفسيرها.
- ترى الدراسات التي تقوم على أساس فلسفي أن رمزية الوحي وتنوع الأفهام في تعاملها مع المتن الديني يؤدي إلى تعدد الحقيقة الدينية وبالتالي يكون مبرراً للتعددية الدينية، ويُردّ عليه بأن ذلك يقتضي أولاً الاعتراف بالنص الديني وهذا يخرج القضية من إطار التعددية الدينية إلى التعددية المذهبية. كما تقوم هذه الدراسات على فكرة تنوع التجربة الدينية في اتصالها بالمطلق واختلافها في التعبير عنه، ويردّ عليها بأن اعتبار النبوة من قبيل التجارب الدينية غير مسلم به، ثم إن التجارب الدينية لا تنجلي دائماً عن نتائج صحيحة.
- أشارت الدراسات التي اعتمدت تفسير النصوص الدينية إلى نجاة فريق من أهل الكتاب في مواضع متعددة من القرآن الكريم فقد رجحت أن سبب النجاة هو الإيمان المترافق بالسلوك الأخلاقي، وهذا أمر غير مسلم به.
- رغم وجود الكثير من الآيات القرآنية والممارسات النبوية التي تؤكد على التعددية الدينية السلوكية إلا أننا يمكن أن نسجل العديد من الملاحظات حول الممارسات العملية التي طبعت العصور التي تلت عصر

الرســـالة، مما يجعلنا نقول إن بذور التعددية الدينية التي وجدت في القرآن الكريم لم يتم اســـتنباتها على النحو الذي ينبغي فيما بعد بما يؤصل مفهوماً إسلامياً متمايزاً للمواطنة.

المصادروالمراجع

الكتب والدوريات المطبوعة:

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع فتاوى، تحقيق، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، طبعة عام 1995.
2. ابن الهمام، الكمال. المسايرة في علم الكلام، مصر: المطبعة المحمودية، الطبعة الأولى (د – ت)
3. ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1999.
4. ابن حزم، علي بن أحمد. الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصر: مكتبة خانجي، (د – ت)
5. ابن عبد السَّلام ، العز. معنى الإيمان والإسلام، تحقيق إياد خالد الطباع، سورية، دمشق: دار الفكر، الطبعة الثانية، 1992.
6. أبو زيد ، نصر حامد ، إشكالية القراءة وآليات التأويل، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2014م.
7. أركون، محمد. الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (د – ت).
8. إسماعيل، محمد بكر. دراسات في علوم القرآن، القاهرة: دار المنار، الطبعة الأولى، 1991.
9. الأنصاري، ابن منظور. لسان العرب، بيروت لبنان: دار صادر ، الطبعة الثالثة، 1414م.
10. بنتاجة، محمد ، مدارس اللاهوت البروتستانتي الحديثة والتعددية الدينية: رؤية نقدية لبعض نظريات تدبير الاختلافات الدينية المسيحية الحديثة على ضوء الفكر الإسلامي، سلطنة عمان: وزارة الاوقاف والشئون الدينية، مجلة التفاهم، المجلد/العدد: س14, ع53.
11. البيضاوي، عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق عبد الرحمن المرعشلي، بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1418 هـ .
12. تتان، عبد الكريم، كيلاني، محمد أديب. عون المريد لشرح جوهرة التوحيد، دمشق، سوريا: دار البشائر، الطبعة الثانية، 1999.
13. التوحيدي، أبو حيان. البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، بيروت لبنان: دار الفكر، طبعة عام 1420هـ.
14. الجابري، محمد عابد. مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة 1998م.
15. الجدة، نجوان نجاح ، فلسفة الدين، العراق: مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، الطبعة الأولى 2016.
16. جعفري، محمد . العقل والدين في تصورات المستنيرين الدينيين المعاصرين، ترجمة حيدر نجف، بيروت لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، 2015م.
17. حب الله، حيدر. التعددية الدّينية: نظرة في المذهب البلورالي، بيروت لبنان: الغدير للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ، 2001.
18. حبنكه، عبد الرحمن. العقيدة الإسلامية، دمشق، سورية، دار القلم، الطبعة الرابعة عشرة، 2009 .

19. حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لبنان، بيروت: دار النفائس، الطبعة السابعة 2001م.
20. الخطيب الشـربيني، محمد بن أحمد . تفسـير السـراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: القاهرة: مطبعة بولاق، سنة 1285.
21. الديبو، إبراهيم، دراسات في علم الكلام، لبنان بيروت، طيبة للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 2021.
22. رشـاد، علي أكبر، البلورالية الدينية وتحدي المعيار، حوار مع البروفيسـور جون هيك، ضـمن كتاب فلسـفة الدين، تعريب موسى ظاهر، لبنان، بيروت: مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2011.
23. رضا، محمد رشيد. تفسير المنار، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام 1990.
24. رضا، رشيد. مجلة المنار، صدرت بمصر بدءاً من آذار 1898م.
25. الزحيلي، وهبة، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دمشق، سورية: دار الفكر، دون بيانات أخرى .
26. زيدان، عبد الكريم. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة، طبعة عام 1982.
27. سـتيس، ولتر. الدين والعقل الحديث، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مصـر: مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1998م.
28. السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، بيروت لبنان، دار الكتاب العربي دون بيانات أخرى.
29. السـعدي، عبد الرحمن بن ناصـر، تفسـير السـعدي، تحقيق، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة 2002.
30. السيوطي، جلال الدين. الحاوي للفتاوي. بيروت لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ، 2004.
31. الشافعي، حسن محمود. المدخل إلى علم الكلام، باكستان – كراتشي دار القرآن والعلوم الإسلامية، الطبعة الثانية(د – ت)
32. شـروس، عبد الكريم ، الصـراطات المسـتقيمة، قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية، ترجمة أحمد القبانجي، بيروت لبنان: دار الانتشار العربي، الطبعة الأولى، 2009.
33. شـروس، عبد الكريم. بين الطريق المسـتقيم والطرق المسـتقيمة، وجهات فلسـفية في التعددية الدينية، ترجمة حيدر حب الله، بيروت لبنان، دار الهادي ، الطبعة الأولى، 2011.
34. طه، أنيس مالك. اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها، باكستان: الجامعة الإسلامية العالمية، 1421هـ.
35. العاملي، الشـيخ مالك مصـطفى وهبي . قراءة في التعددية الدينية، هل هي دعوة إلى اللادينية، بيروت لبنان: دار الهادي، الطبعة الأولى، 2007.
36. علي، غيضان السيد. فلسفة الدين المصطلح من الإرهاصات إلى التكوين العلمي الراهن، بيروت لبنان: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، 2019
37. فرج، ريتا. وثيقة الأخوة الإنسـانية السـلام بين الديانات في عالم مضـطرب، مجلة الفيصـل، العددان (517) و(518)، السعودية: دار الفيصل الثقافية، الطبعة الأولى، 2019.
38. الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، بيروت لبنان: مؤسـسـة الرسـالة للطباعة والنشـر والتوزيع، لطبعة: الثامنة، 2005 م

39. قانصـــوه، وجيه، التعددية الدينية في فلســـفة جون هيك (المرتكزات المعرفية واللاهوتية)، الدار البيضـــاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، 2007.
40. كرم، يوسف & مدكور، إبراهيم. دروس في الفلسفة، بيروت لبنان: دار علم الأدب، الطبعة الأولى، 2016.
41. كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة الحديثة، مصر: دار المعارف، الطبعة الخامسة، دون تاريخ.
42. كميليف، يوري أناتوليفتش. فلسـفة الدين الغربية المعاصـرة ، ترجمة: هيثم صـعب، سـورية، الهيئة العامة السورية للكتاب. سلسلة الكتاب الالكتروني للنشر http://www.syrbook
43. مالك، فضل الرحمن، المسائل الكبرى في القرآن الكريم، ترجمة محمد أعفيف، بيروت، لبنان: جداول للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013.
44. مصـــطفى، عادل. فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطقيا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، مصـــر، القاهرة: دار رؤية، الطبعة الأولى، 2007م.
45. الوداعي، مقبل، مجموع فتاوى الوادعي، جمع وترتيب صديق محمد البيضاني، طبعة خاصة، المدينة المنورة، 1424.
46. اليوســـفيان، حســـن. دراســـات في علم الكلام الجديد، ترجمة محمد حســـن زراقط، بيروت لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 2016.

الكتب الأجنبية:

47. Farid Esack; Qur'an Liberation and Pluralism: An Islamic Perspective of Interreligious Solidarity Against Oppression, Oxford: One world Publications, 1997, paperback.

الكتب والدوريات الإلكترونية:

48. الأسدي، جهاد ، مقال إلكتروني " قراءة في مسألة التعددية الدينية"، على الرابط التالي:
http://www.beirutme.com/?p=1727
49. إسماعيل، إبراهيم ، « محمد حبش والتعددية الدينية » على الرابط الآتي:
https://islamsyria.com/ar/
50. بروان أ.س، جوناثان، مصير غير المسلمين: رؤى حول نجاة من هم من غير المسلمين، على الرابط الآتي:
https://yaqeeninstitute.org/jonathan-brown
51. دبليو ترول، كريستان Prof. Dr. Christian W. Troll، « التعددية الدينية وحرية الدين » على الرابط الآتي:
http://www.asilatulmuslimin.com/vielzahl-der-religionen.html
52. طيرشـــي، كمال ، قراءة في كتاب: "التعددية الدينية في فلســـفة جون هيك" لوجيه قانصـــوه، مؤمنون بلا حدود، على الرابط الآتي:
https://www.mominoun.com/articles
53. العاصفي، محمد مهدي. التعددية الدينية. على الرابط الآتي:
http://azarshab.com/Default.asp?Page=ViewData&Dir=Thaqafatona04&File=20

54. وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني -دستور عقائدي 310، 311

http://coptcatholic.net